الباب الأول

عواصم أفريقية

الفصل الأول :القاهـرة

تعد مدينـة القـاهرة مـن أكثـر مـدن الشـرق التـي اسـتأثرت بالكتابـة والتـأريخ حيـث أطلـق عليهـا لقـب جـوهرة الشـرق ، نظراً لأن عمر القاهرة يزيد على الألف عام بكثير.

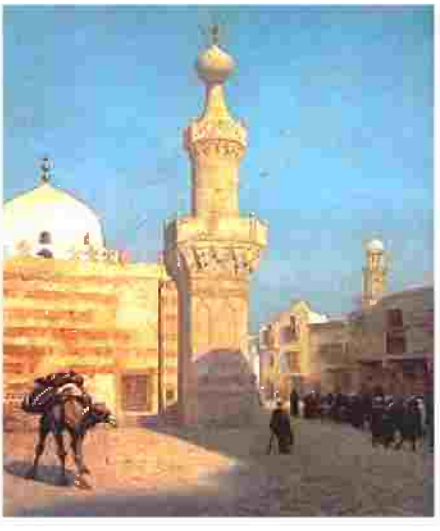

فقـد عرفـت أجـزاء مـن القـاهرة الحاليـة فـي العصـر الفرعـوني باسـم مـن نفـر أى المدينـة الجميلـة وضـاحيتها مدينـة الشـمس (بالهيروغليفيـة : أون) وتعتبـر عاصـمة مصـر الموحـدة منـذ أن وحـدها الملـك نارمر منذ ٣٢٠٠ سنة ق.م.

حصن بابليون

وشـواهد التـاريخ تؤكـد أن مكـان هـذه المدينـة كـان عاصـمة لمصر في أغلب فترات تاريخها، ففي تاريخ مصر الممتد عبر

حوالي ٥٠ قرنا كانت القاهرة بمعناها الواسع هي عاصمة مصر، إذ يرجع البعض اتخاذ القاهرة عاصمة إلى سنة ٩٨ ميلادية عندما بني حصن بابليون الذي ما تزال بقاياه موجودة حتى الآن، حيث أقيم هذا الحصن للدفاع عن الوجهين القبلي والبحري.

الفسطاط

وعندما جاء عمرو بن العاص لفتح مصر أقام عاصمته الإسلامية الجديدة الفسطاط بالقرب من ذلك الحصن، والتي كانت تعرف بمدينة مصر، والمعروف أن نشأة الفسطاط كان على غرار المدن التي ينشئها سكان البادية، فكانت أشبه بالحضر البدوي وكانت تشبه إلى حد كبير تخطيط المدينة المنورة، حيث حدد مخططوها مواقع لكل قبيلة من تلك القبائل التي شاركت في الفتح.

وكان تنسيق الفسطاط يقوم على إعطاء كل قبيلة قطعة من الأرض تقيم فيها مساكنها ويفصل بينها وبين غيرها مساحة من الأرض الفضاء التي طواها فيما بعد التوسع العمراني الذي زحف على هذه الفراغات، ويلاحظ أن العرب المسلمين الفاتحين تركوا مساحة بينهم وبين النهر كانت تسرح فيها دوابهم، كانت تسمى المراغة، يقول مؤرخ مصر الكبير ابن عبد الحكم، وقد كان المسلمون حين اختطوا تركوا بينهم وبين البحر (النيل) والحصن (بابليون) فضاء لتفريق دوابهم وتأديبها، وظلت

الفسطاط حتى أحرقها الوزير الفاطمي شاور عند قدوم حملة أموري الصليبية.

تعتبر مدينة الفسطاط وجامع عمرو أول أثرين إسلاميين بمصر وأفريقيا ويرمزان لمرحلة بداية عصر بكامله هو العصر الإسلامي. وكانت الإسكندرية عاصمة مصر منذ بناها الإسكندر الأكبر عام (٣٣٢ ق.م) مروراً بالإغريق البطالمة والرومان والبيزنطيين الروم وكان عمرو بن العاص بين أمرين هما لو أبقي علي الإسكندرية عاصمة فوجوده بها سيجعله معرضا من البحر لأي غزو وهذا ما حدث فعلا عندما غزا البيزنطيون المدينة من البحر بأسطولهم عام ٦٤٦ م والأمر الثاني الذي جعله يختار مكان الفسطاط أنه بالإسكندرية سيكون بعيداً عن المدينة المنورة عاصمة الخلافة الإسلامية مما يصعب نجدته وكان قرار الخليفة عمر لعمرو بعدم عزل القوات بمانع مائي وهو النيل والفيضان وعدم سكناها المدن حتي لا يتقاعسوا عن مواصلة الفتح لهذا اختار موقعا إستراتيجيا شمال حصن بابليون وأقام فيه مدينة الفسطاط عام ٢١ هـ ـ ٦٤١ م وبها حصن بابليون لتكون مدينة للجند وأقام بها المسجد الجامع مسجد عمرو بن العاص أول مسجد أقيم بمصر الإسلامية وبجواره دار الإمارة.

العسكر

ثم تطورت هذه العاصمة بإنشاء مدينة العسكر التي يعد موقعها الحالي منطقة زينهم التي أقامها صالح بن علي أول وال للعباسيين في مصر سنة ١٣٣ هـ - ٧٥٠ م وكانت في البداية مقصورة على الجنود العباسيين، ولعل هذا السبب الذي جعل الناس يطلقون عليها العسكر، واستمر ذلك الحال حتى جاء السري بن الحكم والياً على مصر عام ٢٠١ هـ - ٨١٦ م فأذن للناس بالبناء فتهافت الناس على البناء بالقرب من مقر الحكم ونمت المدينة حتى اتصلت بالفسطاط.

القطائع

ثم نشأت القطائع التي ابتناها أحمد بن طولون سنة ٢٥٦ هـ - ٨٦٩ م مؤسس الدولة الطولونية التي استمرت ٣٨ عاما، وسميت بهذا الاسم لأن ابن طولون قطع الأراضي فيها ومنح كل قطعة وهي تشبه الشارع أو الحارة في عصرنا الحالي إلى طائفة من القوم، فكانت هناك قطيعة النوبة والروم وغيرهما، وازدهرت القطائع في عهد ابن طولون وابنه خمارويه، وأقام فيها ابن طولون جامعه الشهير الذي ما زال قائما حتى الآن، ثم تعرضت المدينة للتخريب بعد هزيمة الطولونيين أمام العباسيين عند تنيس سنة ٢٩٢ هـ - ٩٠٤ م، وذكر بعض المؤرخين أنه أحرق بها

حوالي مائة ألف بيت، يقول المقريزي إن القطائع قد زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف.

إنشاء القاهرة في العصر الفاطمي

أما القاهرة فهي المدينة التي أنشأها القائد الفاطمي جوهر الصقلي سنة ٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م شمالي مدينة الفسطاط وبناها في ثلاث سنوات وأطلق عليها اسم المنصورية ثم جاء الخليفة المعز لدين الله الفاطمي في ٧ رمضان ٣٦٢هـ ١١ يونيو ٩٧٢م، وجعلها عاصمة لدولته، وسماها القاهرة وهو اسمها الحالي، وأقام في القصر الذي بناه جوهر، وفي اليوم الثاني خرج لاستقبال مهنئيه وأصبحت القاهرة منذ ذلك الحين مقرًا للخلافة الفاطمية، وانقطعت تبعيتها للخلافة العباسية وشهدت القاهرة أزهي أوقاتها آنذاك من الازدهار بحكم كونها عاصمة للدولة الفاطمية وكانت مساحتها على حوالي ٣٤٠ فداناً، وشرع في تأسيس الجامع الأزهر وأحيطت العاصمة بسور من الطوب اللبن وجعل له أبوابا في جهاته المختلفة من أشهرها باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح ولم تطل الحياة بالمعز في القاهرة ليشهد ثمار ما أنجزته يداه، وكان أول خليفة فاطمي يحكم دولته من القاهرة، عاصمته الجديدة وقد قامت القاهرة بعد ذلك بدورها القيادي حتى بعد سقوط الدولة الفاطمية فى الوقوف أمام المد الصليبي وهجمات المغول.

وفي نهاية حكم الفاطميين شهدت مدينة الفسطاط الحريق علي أيدي الصليبيين أيام الخليفة العاضد عندما بلغوها بمراكبهم بالنيل وأسروا ونهبوا بقيادة الملك عموري (أمالوريك) عام ٥٦٤ هـ ـ ١١٦٨ م، فقد أمر وزيره بجمع العبيد وإحراق مدينة الفسطاط ونزح الأهالي للقاهرة خوفاً وهلعاً ونزلوا بالحمامات والأزقة والمساجد وظل الحريق بالفسطاط طيلة ٤٥ يوماً وأصبحت الفسطاط بعد الحريق مدينة أشباح خاوية علي عروشها عدة قرون وفقدت أهميتها كعاصمة للمال والتجارة والصناعة ولم يبق منها سوي مسجد عمرو بن العاص والذي أنقذ من الحريق بأعجوبة .

وعندما انتهت الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ ـ ١١٧١ م، وأقام مكانها الدولة الأيوبية التي استمرت ٨٢ عاما حتى عام ٦٤٨ هـ ـ ١٢٥٠ م أنشأ فيها أبنية جديدة فزادت اتساعاً، ولعل أهم ما أنشأه كان قلعة الجبل لتكون حصنا له يعتصم به من أعدائه الداخليين والخارجيين، وقد وكل عمارتها إلى بهاء الدين قراقوش، كما بنى سوراً جديداً للقاهرة سنة ٥٧٢ هـ ـ ١١٧٦ م، وبنى قناطر الجيزة، غير أنه توفي قبل أن يكمل بعض هذه المباني الضخمة، وقد استخدم قراقوش الصليبين في بناء القلعة والسور، وأول خريطة يعتد بها للقلعة جاءت مع الحملة الفرنسية أي بعد بناء القلعة بحوالي ستمائة عام.

أما الدولة المملوكية التي بدأت سنة ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م فقد شهدت اتساعاً في القاهرة فأنشأت عدداً من الآثار التي ما تزال قائمة حتى الآن، وأنشأت بعض المناطق الجديدة مثل ما يسمى حاليا باب اللوق التي سكنها عدد من فرسان التتر الذين أسلموا وبني عدد من المساجد والأسبلة، إلا أن عهد السلطان محمد بن قلاوون كان الأبرز في العمارة المملوكية.

قامت الفسطاط لتكون عاصمة ولاية تابعة للمدينة المنورة وقامت مدينة العسكر لتكون عاصمة إقطاعية لمصر التابعة لبغداد وقامت مدينة القطائع لتكون عاصمة دولة مصر الطولونية لكن قاهرة المعز قامت لتكون عاصمة خلافة مستقلة هي الخلافة الفاطمية وهذه العواصم الأربعة قامت غرب المقطم بشرق النيل.

القاهرة في فترة الاحتلال العثماني

أما القاهرة في الدولة العثمانية التي بدأت في مصر بعد هزيمة المماليك في معركة الريدانية سنة ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م فقد بدأت تشهد عصراً جديداً، كذلك الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م التي استمرت ثلاث سنوات والتي رسمت خرائط مهمة للقاهرة إضافة إلى عدد كبير من الرسوم التي تصور الحياة في تلك المدينة، والتي ضمها كتاب وصف مصر .

القاهرة في عصر أسرة محمد علي

وتأتي القاهرة في عصر أسرة محمد علي لتشكل ملمحاً جديداً ما زال كثير من آثاره باقية حتى الآن، والذي بدأ من سنة ١٢٢٠ هـ - ١٨٠٥ م حتى قيام حركة الضباط في يوليو ١٩٥٢ م حيث بلغت درجة كبيرة في الاتساع في عهد الخديوي إسماعيل ووصلت مساحتها إلى ألف فدان كما يذكر علي مبارك في خططه، حيث أضيف إلى المدينة حي الاسماعيلية التحرير حاليا، وفي سنة ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م بدأت المدينة تشهد بعض مشاريع البنية الأساسية، مثل مشروع توزيع المياه باستعمال المواسير وتوزيعها داخل البلد، وبعض مشاريع الإضاءة، ويعد محمد علي باشا أول من أدخل العمارة الغربية إلى القاهرة، فأحضر بعض المهندسين الغربيين وبنوا له سراي القلعة وسراي شبرا وسراي الأزبكية، ثم بنى ابنه إبراهيم باشا قصر القبة، وفي عهد الخديوي إسماعيل أنشئ كوبري قصر النيل، وأنشئت حديقة الحيوان على مساحة ٣٠ فدانا، وعدد من السرايات منها سراي عابدين، كما رصفت بعض الطرق ومدت خطوط السكك الحديدية والهاتف وأنشئت المدارس الحديثة وفي عهد الخديوي عباس تم إنشاء حي العباسية وأحياء أخرى مثل الحلمية (السيدة زينب) وحلمية الزيتون وعين شمس.

أما القاهرة في عهد الثورة وما بعدها حتى الآن فقد شهدت تطورات كبيرة، فزادت مساحتها وأضيفت إليها أحياء ومدن جديدة تزيد مساحة بعض هذه المدن عن ٤٠٠ كيلومتر مثل مدينة السادس من أكتوبر، التى أصبحت يوماً محافظة مستقلة كما شهدت زيادة كبيرة في عدد الكباري، وازدياد خطوط مترو الأنفاق، وازداد عدد سكانها وفي عهد عبد الناصر والسادات تم إضافة مدينة نصر التي نمت بشكل كبير

الفصل الثانى :طرابلس

هي عاصمة ليبيا وأكبر مدنها بلغ عدد سكانها (١.٨) مليون سنة ٢٠١١، وتقع في الشمال الغربي لليبيا والمدينة مقامة على رأس صخري مطل على البحر الأبيض المتوسط مقابل الرأس الجنوبي لجزيرة صقلية ونشأت طرابلس فى زمن الفينيقيين كمحطة تجارية وسوق لتصريف المواد الأولية من إفريقيا السوداء، واستمر دور هذه المدينة في مجال التبادل بين الشمال والجنوب، فامتد اتصالهم باتجاه الجنوب ليغطي مجموعة أقطار أفريقيا بلاد السودان وسبب تسميتها يعود تاريخه إلى الإغريق الذين أسموها تريبولي أي المدن الثلاث و قد عرفت المدينة باسم أويا أو أويات بيلات ماكار أويات بلدة الإله ملقارت، وقد اكتشف بمدينة طرابلس العديد من القبور الفينيقية والبونيقية، كما اكتشف بها مصنع فينيقي لإنتاج الفخار ويعتقد أيضاً أن إجراء المزيد من الحفريات في طرابلس ويات سيكشف عن عمق جذور الحضارة الفينيقية الكنعانية في التاريخ الليبي. فهذه المدينة كانت

دائما مبنية ومأهولة وبالتالي لم تتح الفرص لإجراء حفريات فيها على غرار الحفريات التي أجريت في صبراتة (صبراتا) ولبدة الكبرى ورغم هذا فإن الحضارة الفينيقية جلية في المدن الكبرى الثلاث لبدة الكبرى وويات وصبراتة وهذه المعالم ما زالت موجودة وظاهرة ثم انتقلت إلى أعماق ليبيا ويرى الباحثون أن اتجاهات أبواب قوس الامبراطور الروماني ماركوس أوريليوس تمثل اتجاهات المدينة الفينيقية القديمة التي أقيمت عليها مدينة رومانية.

في العصر الروماني أقام الرومان منشآت رومانية لم يتبقى منها سوى قوس النصر في البلدة القديمة والمعروف بقوس ماركوس أوريليوس نسبة لذلك الإمبراطور الروماني، وفي ذلك العهد أيضا منحت المدينة درجة المستعمرة زمن تراجان أواخر القرن الأول م حتى عهد الإمبراطور انطونيوس بيوس في القرن الثاني م. لتصبح ضمن إقليم طرابلس.

وخضعت المدينة لحكم الوندال القرن٥ م وللحكم البيزنطي القرن ٦م وخلال غزوات الوندال دُمرت أسوار لبدة وصبراتة وكان نتيجة ذلك نمو أويا وازدادت أهميتها بعد أن كانت الأقل أهمية في مدن طرابلس.

وفي عام ٦٤٥م فتحها العرب المسلمون زمن خلافة عمر بن الخطاب، وبقيت المدينة تحت الحكم العربي بعد ذلك ما عدا من ١١٤٦-١١٥٨م عندما استولى عليها النورمان الصقليون، واحتلها الإسبان من عام ١٥١٠م وحتى أن سلموها لفرسان القديس يوحنا من مالطا عام ١٥٣١م، الذين سيطروا عليها بدورهم حتى عام ١٥٥١م، حيث استعان الطرابلسيون النازحون في المنطقة الشرقية من المدينة والمعروفة باسم تاجوراء بالعثمانيين للتخلص من الاحتلال المسيحي للمدينة المتمثل في الأسبان ومنظمة فرسان القديس يوحنا.

مع بداية القرن السادس عشر شهدت منطقة حوض البحر المتوسط صراعاً بحرياً بين الدول الأوربية المتمثلة في المسيحيين الإسبان وبين العرب المسلمين حيث اتجهت إسبانيا بقواتها لمهاجمة موانئ شمال إفريقيا واستولوا على المدن التالية :

سبتة طنجة تلمسان المرسى الكبير وهران بجاية وطرابلس سنة ١٥١٠م، وقد حاول الأهالي الطرابلسيون الدفاع عن مدينتهم باستماتة، وهذا ما ذكره الكونت بترو دي فارو قائد الحملة الإسبانية على طرابلس، في رسالته المرسلة لنائب صقلية، إذ كتب لقد كان الطرابلسيون يقاومون مقاومة عنيفة وكان لإسبانيا أسبابًا لاحتلالها لمدينة طرابلس، أبرزها موقعها الاستراتيجي، ميناؤها الحصين، ثرواتها المتعددة التي رأى

الأسبان ضرورة الاستفادة منها في تمويل جيوشهم في مواصلتهم الحرب ضد المسلمين، وكذلك لجعلها قاعدة حربية إسبانية لصد الهجمات المتتالية من الشرق والمتمثلة في الخط المعاكس ألا وهو المد العثماني الذي ظهر كقوة بحرية كبيرة في حوض البحر الأبيض المتوسط بقيادة خير الدين بربروس وخليفته درجوت باشا الذي مثل خطراً حقيقياً على الوجود الإسباني في دويلات شمال إفريقيا.

ويتضح من الرسائل المتبادلة، ما بين قائد الحملة الكونت بترو وملك صقليا، ورسالة قنصل البندقية في باليرمو مقاومة الشعب الليبي وشجاعته المنقطعة النظير، أما عن سياسة الأسبان داخل القطر الطرابلسي، فكانت تتسم بالوحشية والتعصب والظلم، فقد عملوا على طرد جميع الطرابلسيين من المدينة، وجلب أكبر عدد من المسيحيين بدلاً منهم، ولم يقوموا بأي إصلاح يذكر، فقد أهملوا التجارة والصناعة والزراعة وأثقلوا كاهل المواطنين بالضرائب، مما أدى إلى كساد التجارة وبور الأسواق، وهذا الضغط أدى إلى ظهور المقاومة الوطنية التي اتخذت من منطقة تاجوراء المتاخمة للعاصمة، مركزاً لها لشن الحملات الحربية ضد الأسبان في الدويلة الليبية، وتمكنت من محاصرة الأسبان في طرابلس، إلا أن المحاولة لم يكتب لها النجاح ونتيجة لاشتداد وتزايد

المقاومة الوطنية، وتزايد الخطر العثمانيين في البحر، فإن الأسبان تنازلوا عن طرابلس لمنظمة القديس يوحنا سنة ١٥٣٠ ميلادي.

ناشد الطرابلسيون الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية، الدخول إلى طرابلس وإخراج فرسان القديس يوحنا، وقد تمكن العثمانيون من ذلك بقيادة القائد العسكري درجوت باشا الذي تزعّم المقاومة المتكونة من الجيش العثماني وأهالي طرابلس، واتخذ من تاجوراء مقرًا للقيادة، وبعد أن تم إخراج فرسان القديس يوحنا، فإن طرابلس أصبحت رسميًا ولاية تابعة للدولة العثمانية تحت اسم ولاية طرابلس الغرب وقد عرفت طرابلس سابقًا في منطقة المشرق العربي وفي فترة الحكم العثماني باسم طرابلس الغرب لتمييزها عن طرابلس الشام الواقعة شمال لبنان.

بعد أن تكونت طرابلس كمدينة، أصبحت هي نفسها في حاجة لأسواق تخدم الأهالي، لهذا ظهرت الحاجة الملحة لبناء مثل هذه الأسواق والذي تركزت بصفة خاصة في الناحية الشرقية من المدينة القديمة حيث كان أسواق الجملة والتجارة والأعمال تتمركز في منطقة برقة وفي بنغازي بالتحديد لكونها عاصمة سابقة وأكبر مدن الشرق الليبي.

ويرجع أسباب تمركز هذه الأسواق في هذه الناحية من طرابلس إلى قربها من البحر، وهو المنفذ الهام لتصريف الإنتاج واستقبال البضائع القادمة من بلاد الغرب، وكذلك لتكتل المصالح الإدارية والسياسية، فهي قريبة من مصدر السلطة، ألا وهي السرايا الحمراء وذلك في عهد تبعيتها للدولة العثمانية، كما يعود تمركزها إلى اعتبارات استراتيجية، منها أن هذا القسم من المدينة غير معرض للقنابل البحرية، حيث أن مدى المدافع البحرية في ذلك الوقت لم يكن كافياً لتوصيل القذائف إلى هذه البقعة وبالطبع لم تكن هذه الأسواق لخدمة أهل المدينة وحدهم بل لجميع فئات الشعب، لأنها مركز تجمع البضائع من قبل أهالي الحضر والبدو، فغالباً ما يرتاد البدو المدينة لبيع أو شراء ما يحتاجونه ويقفلون عائدين إلى منطقتهم ثم حكمت الأسرة القرمانلية ليبيا بعد انفصال الوالي أحمد باشا بليبيا عن الخلافة العثمانية وبهذا الانفصال فقد انتهى العهد العثماني الأول في ليبيا، وبدأ عهد القرمانليين، وتعد فترة حكم يوسف باشا القرمانلي هي الأبرز في تلك المرحلة، حيث خاض مواجهات بحرية مع الولايات المتحدة لبسط النفوذ والسيادة في البحر الأبيض المتوسط، وبعد صراع شديد، فإن حرب القرمانليين انتهت مع الولايات المتحدة بتوقيع معاهدة سلام تلتزم فيها أمريكا بدفع ضرائب سنوية لباشا طرابلس، مقابل عدم التعرض لسفنها في البحر الأبيض المتوسط. بعد

ذلك انفرط عقد العائلة القرمانلية، وعاد العثمانيون للحكم المباشر في طرابلس ليبدأ عهدهم الثاني.

مرت على طرابلس على وجه الخصوص الكثير من الأحداث والمعارك، ثم أصبحت تحت الاحتلال الإيطالي بعد تعرض العثمانيين لهزائم في بلاد المشرق، واعتبر الإيطاليون أن ليبيا هي الشاطئ الرابع لإيطاليا، وحدثت مواجهات عنيفة بين القوات الإيطالية والمقاومة الشعبية المحلية بالتعاون مع بعض الضباط العثمانيين، ونتيجة لتلك المقاومة فإن الليبيين تمكنوا من تحقيق بعض المكاسب، ومن أهمها إعلان الجمهورية الطرابلسية، إلا أن الإيطاليين استمروا في السيطرة على المنطقة حتى هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ الانتداب البريطاني الذي انتهى باستقلال البلاد عام ١٩٥١.

وفي زمن المملكة الليبية المتحدة، ونظرًا للنظام الاتحادي المتبع آنذاك، فإن طرابلس كانت تتناوب على القيام بدور العاصمة إلى جانب كبرى مدن الشرق الليبي بنغازي، قبل أن يتم التخطيط لاتخاذ مدينة البيضاء كعاصمة للدولة بعد أن تم إنهاء العمل بالنظام الاتحادي عام ١٩٦٣، وبعد قيام ثورة الفاتح، أصبحت مهام العاصمة متمركزة في طرابلس حيث مقر قيادات الدولة، والأمانات "الوزارات" المختلفة، ومقر كل السفارات، وأهم قطاعات البنية التحتية. وقد كانت هناك

محاولات لجعل سرت عاصمة للبلاد عبر تمركز اجتماعات الأمانات (الوزارات) فيها، إلا أن الأمر لم يتم، كما حاولت الدولة أيضاً نقل الأمانات إلى مدينة هون، لكن غيرت الخطة مرة أخرى، واستقرت مهام العاصمة في طرابلس.

مع ازدهار الاقتصاد الليبي نتيجة توفر البلاد على احتياطات ضخمة من الغاز والنفط، الأمر الذي مكّن الدولة من توفير دخل كبير من العملات الصعبة، فإن طرابلس شهدت حركة تعمير وبناء للبنية التحتية مع بداية السبعينيات، وأصبحت طرابلس تضم عددًا من المرافق المتميزة على الصعيد الإقليمي.

الفصل الثالث : تونس

عرفت تونس تاريخاً يعود لعهود قديمة إذ يعود ظهور الإنسان في المنطقة التي تعرف اليوم بتونس إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث تم العثور على آثار نشاط إنساني يعود إلى العصر الحجري القديم وذلك تحديداً في موقع القطّار والذي اكتشف فيه عالم الآثار جراي كوما من الحجارة مخروطي الشكل يعتقد أنه تعبير عن معتقد ما.

تُعدّ الحضارة القبصية ٦.٨٠٠ ق.م. إلى ٤.٥٠٠ ق.م أول مظاهر المجتمعات الإنسانية المنظمة بالمنطقة وفي هذه الفترة وفد البربر الأمازيج كما يبدو مع هجرة الشعوب الليبية (وأمازيج تعبير إغريقي عن الشعوب الأفريقية آنذاك) وإن كان لا يعرف أصل الشعوب البربرية بالتحديد ويعتبرهم كثيرون السكان الأصليين للبلاد.

عرفت المنطقة تعاقب العديد من الحضارات التي جلبتها ثروات هذه الأرض وأهمية موقعها الإستراتيجي في قلب حوض البحر الأبيض المتوسط وساعد على

دخولها الانفتاح الطبيعي لتونس وسهولة تضاريسها ويعد قدوم الفينيقيين بداية دخول المنطقة فترة التاريخ بتأسيسهم لدولة قرطاج.

التاريخ القديم : الفترة القرطاجية ٨١٤ ق.م. - ١٦٤ ق.م

أقام السكان الموجودون بتونس علاقات تجارية مع الفينيقيين منذ القرن ١١ ق.م حيث قام هؤلاء بإنشاء مرافئ لتبادل البضائع تعتمد في أغلب الأحيان على المقايضة وتعتبر أوتيكا من أهم هذه الموانئ وكان تأسيس قرطاج كقاعدة عسكرية لحماية الموانئ التجارية على الساحل الغربي للبحر الأبيض المتوسط وعلى إثر الإضرابات التي نشبت في فينقيا قامت مجموعة من التجّار بالفرار إلى قرطاج والاستقرار فيها ولكن الروايات التاريخية عن تأسيس المدينة أقرب إلى الأسطورة من الحقيقة أحيانا.

وبمرور الزمن ضعفت الإمبراطورية التجارية الفينيقية وورثت قرطاج أمجادها ومستعمراتها وقامت بتوسيع رقعتها لتشمل جزءاً كبيراً من سواحل البحر الأبيض المتوسط، ونظراً لموقعها الإستراتيجي والمُطل على حوض المتوسط، استطاعت بسط نفوذها والسيطرة على حركة التجارة بشكل لم يكن لينال رضاء القوة العظمى آنذاك حيث شكل التوسع

القرطاجي خطراً على مصالح ونفوذ الإغريقيين مما أدى إلى اشتباكات عسكرية بين الدولتين.

الامبراطورية القرطاجية في ٢٦٤ ق.م

وفي سنة ٧٥٣ ق.م برز كيان جديد في شبه الجزيرة الإيطالية تحت اسم روما ودخلت روما حلبة الصراع منافسة قرطاج، الشيء الذي أدى إلى نشوب سلسلة من الحروب سنة ٢٦٤ ق.م اشتهرت باسم الحروب البونيقية ولعل أشهرها حملة هانيبال الحرب البونيقية الثانية الذي قام بعبور سلسلتي البيريني والألب بفيلته ٢١٨ ق.م – ٢٠٢ ق.م وانتهت هذه الحروب البونيقية بهزيمة القرطاجيين واضعافهم بشكل كبير خاصة بعد حرب روما المفصلية مما مهد الطريق لحرب ثالثة وحاسمة انتهت بزوال قرطاج وخراب المدينة وقيام الرومانيون بإنشاء أفريكا أول مقاطعة رومانية بشمال أفريقيا وذلك سنة ١٤٦ ق.م.

الفترة الرومانية ١٤٦ ق.م – ٤٣١ م

سنة ٤٤ ق.م قرر الامبراطور الروماني يوليوس قيصر إعادة بناء مدينة قرطاج بعد أن كانت أوتيكا العاصمة ولكن أعمال البناء لم تبدأ رسمياً إلا مع خلفه أوجيست وبذلك بدأت فترة ازدهار في المنطقة حيث أصبحت أفريقية مخزن حبوب روما.

ازدهرت مدن رومانية أخرى بالتزامن مع أرض قرطاج ومازلت الآثار شاهدة على بعض منها مثل دقة بولاية باجة والجم بولاية المهدية.

أدى نمو قرطاج السريع إلى تبوئها مكانة ثاني مدينة في الغرب بعد روما إذ ناهز عدد سكانها مائة ألف نسمة وبدأ انتشار المسيحية في تلك الفترة والذي لاقى في البداية معارضة كبيرة من السكان ولم يحسم الأمر للدين الجديد إلا مع القرن الخامس وأصبحت قرطاج إحدى العواصم الروحية الهامة للغرب آنذاك.

الفترة الوندولية ٤٣١ – ٥٣٣

عبر الوندول مضيق جبل طارق في ٤٢٩ م وسيطروا سريعاً على مدينة قرطاج حيث اتخذوها عاصمة لهم وكانوا أتباع الفرقة الأريانية والتي اعتبرتها الكنيسة الكاثوليكية آنذاك فرقة من الهراطقة (هم الزنادقة في الإسلام) كما اعتبرهم السكان برابرة وأدى ذلك إلى حملة قمع سياسي وديني واسعة ضد المعارضين.

بدأت مناوشات بين الوندول والممالك البربرية المتاخمة للدولة وكانت انهزام الوندول سنة ٥٣٠ م الحدث الذي شجع بيزنطة على القدوم لطرد الوندول.

الفترة البيزنطية:

سيطر البيزنطيون بسهولة على قرطاج سنة ٥٣٣م ثم انتصر الجيش البيزنطي والذي كان أغلبه مكونا من المرتزقة على خيل الوندول والتي كانت أقوى تشكيل في جيش الوندول واستسلم آخر ملك للوندول سنة ٥٣٤م.

هاجر أغلب شعب الوندول قسراً إلى الشرق حيث أصبحوا عبيداً بينما جند الباقون في الجيش أو كعمال في مزارع القمح وسرعان ما عاد الحكام الجدد إلى سياسة القمع والاضطهاد الديني كما أثقلوا كاهل الناس بالضرائب مما حدى بهم إلى الحنين إلى سيطرة الوندول رغم مساوئهم.

الفتح الإسلامي:

استقر الإسلام في المنطقة بعد ثلاث فتوحات متتالية عرفت مقاومة كبيرة من البربر بينما لم تُعَرّب شعوب المنطقة إلا بعد ذلك بقرون طويلة كانت أولى الفتوحات سنة ٦٤٧م وعرفت بفتح العبادلة لأن قوادها يحملون اسم عبد الله وانتهت بمقتل الحاكم البيزنطي

وقعت الحملة الثانية سنة ٦٦١م وانتهت بالسيطرة على مدينة بنزرت أما الحملة الثالثة والحاسمة فكانت بقيادة عقبة بن نافع سنة ٦٧٠م وتم فيها تأسيس مدينة القيروان والتي أصبحت فيما بعد القاعدة الأمامية للحملات اللاحقة في أفريقية والأندلس إلا أن مقتل عقبة بن نافع سنة

٦٨٣م كاد يفشل الحملة واضطر الفاتحون إلى حملة رابعة ونهائية بقيادة حسان بن النعمان سنة ٦٩٣م أكدت سيطرة المسلمين على أفريقية رغم مقاومة شرسة من البربر بقيادة الكاهنة وتمت السيطرة على قرطاج سنة ٦٩٥م ورغم بعض الانتصارات للبربر واسترجاع البيزنطيين لقرطاج سنة ٦٩٦م فإن المسلمين سيطروا بصفة نهائية على المدينة عام ٦٩٨م وقتلت الكاهنة في السنة نفسها.

لم تسترجع قرطاج هيبتها بعد ذلك وتم استبدالها بعد ذلك بميناء تونس القريب والذي كان مركز انطلاق للغزوات في البحر باتجاه صقلية وجنوب إيطاليا.

لم يكتف الفاتحون الجدد بالسيطرة على السواحل بل اتجهوا براً ونشروا عقيدتهم في صفوف البربر الذين أصبحوا منذ ذلك الحين رأس الحربة في الفتوحات اللاحقة وخاصة في الأندلس بقيادة طارق بن زياد احتوت مدينة القيروان على العديد من مراكز تعليم الإسلام إلا أن بعد أفريقية عن المشرق مهد الديانة ومركز الحكم أدى إلى انتشار الفرق الإسلامية التي لا تنتمي إلى أهل السنة وخاصة الفكر الخارجي.

الدولة الأغلبية:

بقيت القيروان عاصمة لولاية أفريقية التابعة للدولة الأموية حتى ٧٥٠م ثم الدولة العباسية ولم تشهد المنطقة حكماً مستقلاً إلا بقيادة

إبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة الأغلبية بقرار من هارون الرشيد سنة ٨٠٠م والذي كان يريد بذلك وضع سد أمام الدويلات المنتشرة في غرب أفريقية أينما انتشر الفكر الخارجي.

دام حكم الأغالبة ١٠٠ سنة وازدهرت خلاله الحياة الثقافية وأصبحت القيروان مركز إشعاع كما شهدت نفس الفترة تأسيس أسطول بحري قوي لصد الهجوم الخارجي والذي مكن أسد بن الفرات لاحقا من فتح جزيرة صقلية.

الدولة الفاطمية:

شكل وصول بني أمية إلى الحكم بعد مقتل الإمام علي نقطة انطلاق تنظيم الشيعة العلويين وتحلقهم حول ذرية الإمام من السيدة فاطمة الزهراء، الحسن والحسين كما أعطى مقتل الإمام الحسين شحنة جديدة زادت من تكتلهم ومن تقوية صفوفهم وذلك حتى نهاية الحكم الأموي و لم يتغير وضع الشيعة كثير بعد وصول أبناء أعمامهم العباسيون إلى الحكم مما زاد شعورهم بالإحباط والكبت وفي عهد الخليفة المنصور ظهرت عدة فرق في صفوف الشيعة لعل أهمها وأكثرها تنظيما سواء من ناحية العقدية أو السياسية أتباع إسماعيل بن جعفر الصادق.

بوفاة إسماعيل بن جعفر بدأت فترة الأئمة المستورين الذين لم يكن لهم مشاركة في الحياة السياسية وهم: الوافي أحمد والتقي محمد والزكي

عبد الله والتي انتهت بظهور المهدي عبد الله والمعروف أكثر باسم عبيد الله المهدي.

استطاع عبد الله الشيعي في غضون ٧ سنوات الاستيلاء على أغلب مناطق شمال أفريقيا وذلك بمساعدة بعض القبائل البربرية التي استجابت إلى دعوته واعتنقت المذهب الإسماعيلي وبعد انتصارهم على الجيش الأغلبي دخل عبيد الله رقادة يوم الخميس ٢٠ ربيع الثاني سنة ٢٩٦ هـ والتي كان زيادة الله الثالث قد تخلى عنها ودام حكم الفاطميين في تونس ٦٤ عاماً عرفت فيها البلاد ازدهاراً كبيراً وعام ٩٦٩ تمكن الفاطميون من فتح مصر لينقلوا إليها عاصمتهم عام ٩٧٣.

الدولة الصنهاجية :

لما انتقل الفاطميون إلى مصر ولوا على إفريقية أميرا من أصل أمازيجي يدعى بلكين بن زيري بن مناذ الصنهاجي استطاع بلكين القضاء على الفتن والثورات القبائلية المجاورة على حدود البلاد مما مكنه من تعزيز حكمه والاحتفاظ بالأراضي الشاسعة التي ورثها عن الفاطميين في بداية القرن الحادي العشر خرج والي أشير حماد بن بلكين عن سلطة الصنهاجيين مما أدخل الطرفين في حرب طاحنة دامت عدة سنوات فقد الصنهاجيون شيئاً فشيئاً جزءاً كبيراً من المغرب الأوسط (الجزائر) لتقتصر في النهاية رقعة دولتهم أساساً على تونس وصقلية

وشهدت البلاد في عهد الصنهاجيين نهضة عمرانية وثقافية واقتصادية كبيرة، فازدهرت الزراعة في أنحاء البلاد بفضل انتشار وسائل الري، وتشييد العديد من القصور والمكتبات والأسوار والحصون، فيما أصبحت عاصمتهم القيروان مركزاً هاماً للعلم والأدب.

عام ١٠٤٥ أعلن الملك الصنهاجي المعز بن باديس خروجه عن الخلافة الفاطمية في القاهرة وانحيازه إلى الخلافة العباسية في بغداد وغضب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي أذن، بإيعاز من وزيره أبو محمد الحسن اليازوري، للقبائل البدوية المتمركزة في الصعيد بالزحف نحو تونس أدى زحف القبائل البدوية (أساسا بنو هلال وبنو سليم) إلى تمزيق أوصال الدولة الصنهاجية وإلى خراب عاصمتهم بعد تعرضها للسلب والنهب.

بعد الغزو الهلالي أصبحت البلاد مقسمة بين عدة دويلات أهمها إمارة بنو خرسان في مدينة تونس والوطن القبلي، ومملكة بنو الورد وعاصمتها بنزرت، ومملكة بنو الرند وعاصمتها قفصة فيما حافظ الصنهاجيون على منطقة الساحل واتخذوا من المهدية عاصمة لهم.

الفترة الموحدية :

عام ١٠٦٠ انتهز النورمان انهيار الدولة الصنهاجية ليستولوا على صقلية لتصبح البلاد عرضة لغاراتهم وفي عام ١١٣٥ تمكن روجيه

الثـاني مـن احـتلال جزيـرة جربـة تبعهـا عـام ١١٤٨ احـتلال المهديـة، سوسة، وصفاقس.

إستنجد الملك الحسن بن علي الصنهاجي بعبد المؤمن بن علي مؤسس الدولـة الموحديـة فـي المغـرب لطـرد الغـزاة واسـتطاع الموحـدون فـي السنوات التالية استرجاع كامل الأراضي التونسية من النورمان ليصبحوا مسيطرين على معظم أجزاء المغرب الكبير وجزء من الأندلس.

الدولة الحفصية :

عام ١٢٠٧ ولى الموحدون على إفريقيـة أحد أتبـاعهم وهو أبو محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص ابن الشيخ عبد الواحد بن أبـي حفص الذي رافق محمد بن تـومرت أثنـاء دعوتـه عام ١٢٢٨ تمكن أبو زكريـا يحيى بـن حفـص مـن الإنفـراد بالمنصـب لصـالحه وأعلـن منـذ ديسـمبر ١٢٢٩ استقلاله عن الموحدين

اتخذ أبو زكريا مدينة تونس عاصمة له واتخذ لنفسه لقب السلطان عام ١٢٤٩ خلف أبو زكريا ابنه عبد الله محمد المستنصر الذي أعلن نفسه خليفـة للمسـلمين عـام ١٢٥٥ تعرضـت الـبلاد عـام ١٢٧٠ إلـى غـزوة صليبية قادها لويس التاسع ضمن الحملة الصليبية الثامنـة شـهدت الدولـة بعد وفاة المستنصر عام ١٢٧٧ عدة صراعات خلافة تخللتها عدة ثورات لقبائل جنوب البلاد، ولم تسترجع الدولة وحدتها إلا في عهد أبو يحـي أبـو

بكر استرجعت الدولة سالف مجدها في عهد أبو العباس أحمد وأبو فارس ثم عبد العزيز اللذان شهدت البلاد في عهدهما ازدهار التجارة والملاحة ودخلت الدولة في أواخر القرن الخامس عشر حالة من الركود تخللتها حروب خلافة وأصبحت منذ ١٥١٠ عرضة لغارات الأسبان.

الحقبة الأسبانية:

دخلت الدولة الحفصية سنة ١٥٣٥ في صراع على الخلافة بين السلطان أبو عبد الله محمد الحسن وأخيه الأصغر رشيد طلب الأخير العون من العثمانيين الذين تمكنوا من الاستيلاء على العاصمة بقيادة خير الدين باربروسا دون إرجاع رشيد على العرش واستنجد أبو عبد الله محمد الحسن بشارل الخامس، ملك إسبانيا الذي جهز جيشاً قوامه ٣٣،٠٠٠ رجل و٤٠٠ سفينة بالتحالف مع الدول البابوية،و جمهورية جنوة ونظام فرسان مالطا وتمكن الأسبان من القيام بإنزال شمالي العاصمة في ١٦ يونيو، ثم بالاستيلاء على ميناء حلق الوادي، ثم تمكنوا من دخول العاصمة في ٢١ يوليو وأعيد تنصيب السلطان حسن على العرش لكنه أجبر على المصادقة على معاهدة تضع البلاد عمليا تحت الحماية الأسبانية استمر في السنوات التالية الصراع بين الأسبان وحلفاءهم والعثمانيين وتمكن العثمانيون في النهاية سنة ١٥٧٤، من طرد الأسبان نهائياً بعد الانتصار عليهم في معركة تونس

الفصل الرابع :الجزائر

عاصمة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية باللهجة المحلية: دزاير؛ بالبربرية: لزاير تامنايت وتدعى البهجة، المحروسة وأيضاً البيضاء إكوزيوم زمن الإمبراطورية الرومانية هي عاصمة الجزائر وأكبر مدنها تقع في شمال وسط الجزائر مطلة على البحر الأبيض المتوسط. تعتبر المدينة أكبر مركز اقتصادي وميناء بحري بالبلاد.

تلفظ الجزائر باللهجة المحلية دزاير والتي يقال أنها مشتقة من دزيري من الكلمة البربرية تيزيري التي تعني ضوء القمر فالواحد من سكان العاصمة يسمي نفسه دزيري واللهجة العامية تحتفظ بكلمة دزاير التي يعنون بها الجزائر البلد أو الجزائر العاصمة.

وهى مركز سياسيي وإقتصادي وثقافي للبلاد، يبلغ تعداد سكانها حوالي ٤ ملايين نسمة عشر سكان الجمهورية ولطالما لقبت بالجزائر البيضاء وتقع على

شاطئ المتوسط في منتصف الطريق الساحلي الذي يربط تونس شرقا بالمغرب وهي من أجمل مدن ساحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبي، وتنتشر أحياؤها ومبانيها فوق مجموعة من التلال المطلة على البحر، كما تنتشر على منحدراتها وسفوحها وفي السهل المنبسط تحتها غابات النخيل وأشجار الليمون والبرتقال والزيتون ، دعيت إيكوسيوم جزيرة النورس لما حولت في العهد الفينيقي إلى مرفأ تجاري هام في المنطقة بأكملها، تاريخ بناءها يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد وهذا ما يدل عليه بقايا أوانى تعود للحقبة الكامبدية القرن الثالث ق٠م أكتشفت في بئر في عام ١٩٤٠وفي عام٢٠٢ ق٠م غير إسم المدينة ، وأدخلت تحت الهيمنة الرومانية، بعد حلف تم بين اسينيسا وسكيبيون الأفريقي ضد قرطاج وفي حوالي القرن الرابع دخلت الديانة المسيحية المدينة.
في ٤٢٩، غزا الوندول المدينة وظلوا فيها حتى عام ٤٤٢ بعد ٥٣٣، كانت تحت السيطرة البيزنطية والهجمات الدائمة لقبائل البربر و الموريتانيين أدت إلي تدهور المدينة و إنحطاطها.

الحقب القرطاجيةوالرومانية و الممالك النوميدية

نذكر هنا بلاد النومادوس، الأمازيج البربر قديماً، مقاطعة الإمبراطورية الرومانية ثم البيزنطية، بين مقاطعة أفريقيا شرقاً، و موريتانيا القديمة غرباً، ممثلة بالجزء الشرقي للجزائر حالياً.

النومادوس، هم البدو شبه الرحل، منقسمين لقبائل وصف الرومان قبائل الشرق بالماسيليين (نسبة لميس، جد ماسينيسا الأكبر) أما الغربيون فهم الماسايليين.

البربر الأمازيج وكانوا من أوائل الشعوب التي استوطنت هذه المناطق كان الصيد أهم نشاطاتهم البدائية، ثم تحولوا إلى نشاطي الرعي والزراعة، انتظموا في تجمعات قبلية كبيرة، أطلق عليهم المؤرخون الإغريق تسمية ليبيون، وعرفوا عند الرومان باسم نوميديون وموريسكوس أو الموري وخلال الحرب البونية الأولى، اتحد الماسايليون تحت قيادة الملك صيفاقس ، مع قرطاجة، حين اتحد الماسليون بزعامة ماسينيسا مع الرومان كانت كل نوميديا في يد ماسينيسا بعد انتصار الرومان ودامت الدولة قرنا من الزمن حتى مجئ الرومان وخلعهم لآخر ملوكها يوغرطة أصبحت المملكة جزءاً من الإمبراطورية الرومانية.

دخول الإسلام

فتح العرب البلاد على يد أبو المهاجر دينار، الذي صادق كسيلة الأمازيجي، مدخله في الإسلام وبعدها يهاجم مبعوث الأمويين عقبة بن نافع كسيلة المرتد ، لكن عقبة يقتل على يديه، خلال القرن الثامن الميلادي.

عرفت البلاد قيام أولى الدول الإسلامية المستقلة، بعواصم مختلفة، الأغالبة مندوبوا العباسيين، الرستميون، الأدارسة ظهر بعدها التشيع الاسماعيلي برعاية الفاطميين ليتغير تدفق الفتوحات إلى الخارج، ففتح هؤلاء بلاد مصر والشام والحجاز، ثم تحولوا بعاصمتهم إلى جهة الشرق رافق تمرد عملائهم السابقين، تغريبة (بنو هلال، بني سليم، بني المعقل) إلى الجزائر، بتشجيع منهم، ابتداءاً من القرن الـ١١ م.

سيطر على البلاد العديد من السلالات البربرية (الزبيريون، الحماديون، الموحدون، الزيانيون، الحفصيون، المرينيون).

سيطرة العثمانيين

دخل الأسبان على الجزائر من وهران سنة ١٥٠٤ بقيادة جونزالو سيسنيروز، كاردينال الملوك الكاثوليك، فاستنجد سكان بجاية وجيجل بالأخوة عروج، حيث قام باربروس عروج وخير الدين، بوضع بلاد الجزائر تحت سيادة الدولة العثمانية، وجعلا من سواحل البلاد قاعدة لعملياتهم البحرية على الأساطيل المسيحية.

وبلغت هذه النشاطات ذروتها سنة ١٦٠٠ م، أطلق على مدينة الجزائر اسم دار الجهاد وقد تعرضت مدينة الجزائر خلالها، لهجوم الملك شارل الخامس في ١٥٣٥ بعد سيطرته على مدينة تونس، التي لم تدم طويلا.

في سنة ١٨٢٧ م قام الداي حسين حاكم الجزائر بطرد القنصل الفرنسي من مجلسه مشيراً إليه بالمروحة، فاعتبرتها فرنسا إهانة لها و بعد حصار طويل قامت فرنسا باحتلال الجزائر سنة ١٨٣٠م.

الجهاد البحري في المتوسط:

قبلت الجزائر عام ١٨١٦ من الانجليز اعتبار البحر المتوسط محمية الأسطول الجزائري ورجاله، وكان على القوى الأوروبية دفع ضريبة الإبحار فيه، مقابل حمايتهم .

الولايات المتحدة الأمريكية، التي فقدت حماية بريطانيا العظمى لها بعد حرب تحريرها، تعرضت سفنها للجهاد البحري ، حيث تم بيع ركابها كعبيد، تلى هذا، خلال ١٧٩٤، مقترح مجلس الشيوخ الأمريكي، دعما للبحرية القضاء على القرصنة في سواحل المتوسط ورغم حشد البحرية الأمريكية، عقدت الولايات المتحدة اتفاقية مع داي الجزائر، سنة ١٧٩٧، تضمن دفع ضريبة قدرها ١٠ مليون دولار خلال ١٢ سنة، مقابل حماية مراكبها بلغ سداد ضريبة الولايات المتحدة ٢٠% من دخلها السنوي سنة ١٨٠٠.

ألهت حروب نابليون خلال القرن التاسع عشر، اهتمام القوى البحرية عن التصدى للأساطيل الجهاد المغربية لكن الأمور تغيرت بحلول السلام في أوروبا سنة ١٨١٥، حيث وجدت الجزائر نفسها في حروب مع

أسبانيا، هولندا، بروسيا، الدنمارك، روسيا، ونابولي الإيطالية وخلال نفس السنة، في مارس، سمح مجلس الشيوخ الأمريكي بهجوم ضد البلاد المغربية حيث أرسل العميد البحري ستيفن ديكاتور مع أسطول من ١٠ قطع، لحماية السفن الأمريكية، كذلك لردع نهائي للأساطيل الجزائرية ورغم أسره عددا من المجاهدين ،إلا أنه لم يستطع تحقيق غرضه لأن الداي كان صارما معه بعدها بسنة، تشكلت وحدة هولندية بريطانية، بقيادة الأدميرال البريطاني، فيكونت إكسموث، قانلت الجزائر ل ٩ ساعات، وكان هذا آخر عهد للجهاد البحري في الجزائر، حيث تخلى الدايات عن الجهاد البحري ، كما التزموا بحماية السفن الغربية .

الاستعمار الفرنسي للجزائر:

احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م وبدأت في السيطرة على أراضيها، في ٨ سبتمبر ١٨٣٠ أعلنت كافة الأراضي الأميرية وأراضي الأتراك الجزائريين على أنها أملاك للدولة الفرنسية.

في ١ مارس ١٨٣٣ صدر قانون يسمح بنزع ملكية الأراضي التي لا توجد مستندات لحيازتها، كما نشرت مراسيم ساعدت الفرنسيين على السيطرة على أملاك الأوقاف وتم السيطرة على الأراضي على نطاق شامل مثل مرسوم ٢٤ ديسمبر عام ١٨٧٠ الذي يسمح للمستوطنين الأوروبيين بتوسيع نفوذهم إلى المناطق التي يسكنها الجزائريين وإلغاء

المكاتب العربية في المناطق الخاضعة للحكم المدني وواجه الفرنسيون عدة ثورات في توغلهم للداخل، وكانت أهمها بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري حتى عام ١٨٤٧م كما اعتبرت فرنسا كل المواطنين ذوي الأصول الأوروبية واليهود أيضاً مواطنين فرنسيين كاملي الحقوق، لهم حق في التمثيل في البرلمان، بينما أخضع السكان العرب والبربر المحليون الذين عرفوا باسم الأهالي إلى التفرقة العنصرية.

يبدأ تاريخ المدينة مع قدوم الفينيقيين ١٢٠٠ ق. م وإنشاء أول مرفأ بحري على خليج الجزائر وتملكها الرومان بعد سنة ١٤٦ ق.م مع نهاية الحروب البونية، وأصبحت تسمى إكوسيوم توالت على المدينة قترات الوندول ثم البيزنطيين ثم مقدم العرب ٦٥٠ م حملت المدينة بعدها اسم جزائر بني مزغنة، للجزر الواقعة على خليجها و ملازمة قبيلة بني مزغنة البربرية أعاد بلكين بن زيري بناءها ٩٦٠ م وعرفت المدينة فترات متعددة تعاقب عليها الزيريون، الحماديون، الموحدون، بنو عبد الواد كما عرفت هذه الفترات مقدم قبيلة الثعالبة والتي بسطت نفوذها على المدينة وجاورها ومن أبناءها عبد الرحمن الثعالبي ١٣٨٧-١٤٦٨م صاحب التفسير المشهور.

بعد سقوط مدينة الأندلس تباعاً بدأت المدينة تستقبل وفود الأندلسيين النازحين وفى عام ١٥١٠ م احتل الأسبان إحدي الجزر الصخرية

المحاذية للمدينة وشكل الأهالي بعدها وفداً أرسل إلى اسطنبول لمقابلة السلطان سليم العثماني وطلب العون فبدأ العهد التركي ومع مقدم الإخوان بربروسة المدينة سنة ١٥١٦م أصبحت المدينة عاصمة البلاد التي دخلت تحت الوصاية العثمانية حاول الإمبراطور شارل الخامس الاستيلاء على المدينة سنة ١٥٤١ م و لكن عاصفة دمرت قطع الأسطول الضخم الذي أعده.

عرفت المدينة كمعقل للقراصنة الذي شنوا حملات منظمة على الأساطيل المسيحية مما عرض المدينة لحملات عديدة ثم أصبحت مقرا للحكام العسكريين الفرنسيين وكذا الإدارة المدنية، نزلت بها قوات الحلفاء سنة ١٩٤٢ م كما أنشئ فيها اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني حيث كانت فرنسا محتلة من طرف النازيين سنة ١٩٤٣ م والتي أصبحت منذ ١٩٤٤ م تعرف باسم الحكومة المؤقتة وعرفت المدينة أحداث حرب التحرير مابين ١٩٥٤-١٩٦٢ م كما جرت في شوارعها ما عرف بمعركة مدينة الجزائر ١٩٥٧ م وحاول بعض الجنرالات الفرنسيين سنة ١٩٦١ م الإنقلاب على القيادة المركزية و الإستقلال بالجزائر إلا أن المحاولة فشلت ثم استقلت البلاد عام ١٩٦٢ م و أصبحت المدينة عاصمة رسمية للجمهورية.

الفصل الخامس :الرباط

هـى عاصـمة المغـرب، تقـع علـى المحـيط الأطلسـي تشـتهر المدينـة بصـناعة النسـيج كمـا أن فيهـا جامعـة محمد الخـامس يبلـغ عدد سكانها مليونين و ٧٠٠ ألـف نسمة.

يرجع تاريخ مدينة الرباط إلى فترات تاريخية مختلفة، إلا أن التأسيس الأولي للمدينة يعود إلى عهد المرابطين الذين أنشأوا رباطاً محصناً ، ذلك أن هاجس الأمن كان أقوى العوامل التي كانت وراء هذا الإختيار ليكون نقطة لتجمع المجاهدين، ورد الهجمات البورجواطية.

خلال عهد الموحدين عرفت المدينة إشعاعاً تاريخياً وحضارياً، حيث تم تحويل الرباط (الحصن) على عهد عبد المؤمن الموحد إلى قصبة محصنة لحماية جيوشه التي كانت تنطلق في حملات جهادية صوب الأندلس .

وفي عهد حفيده يعقوب المنصور، أراد أن يجعل من رباط الفتح عاصمة لدولته، وهكذا أمر بتحصينها

بأسوار متينة وشيد بها عدة بنايات من أشهرها مسجد حسان بصومعته الشامخة وفي القرن الرابع عشر بدأت الرباط تعرف اضمحلالا بسبب المحاولات المتتالية للمرنيين للاستيلاء عليها وإنشاؤهم لمقبرة ملكية بموقع شالة لخير دليل على ذلك.

وفي عهد السعديين ١٦٠٩ سمح للمسلمين القادمين من الأندلس بالإقامة بالمدينة، فقاموا بتحصينها بأسوار منيعة والتي ما زالت تعرف بالسور الأندلسي وفي هذا العهد تم توحيد العدوتين (مدينة الرباط وسلا) تحت حكم دويلة أبي رقراق، التي أنشأها الموريسكيون ومنذ ذلك الحين اشتهر مجاهدوا القصبة بنشاطهم البحري، وعرفوا عند الأوربيين باسم قراصنة سلا وقد استمروا في جهادهم ضد البواخر الأوربية إلى سنة ١٨٢٩ .

شالة بقيت مهجورة منذ القرن الخامس حتى القرن العاشر الميلادي حيث تحول الموقع إلى رباط يتجمع فيه المجاهدون لمواجهة قبيلة برجواطة لكن هذه المرحلة التاريخية تبقى غامضة إلى أن اتخذ السلطان المريني أبو يوسف يعقوب سنة ١٢٨٤م من الموقع مقبرة لدفن ملوك وأعيان بني مرين حيث شيد النواة الأولى لمجمع ضم مسجدا ودارا للوضوء وقبة دفنت بها زوجته أم العز .

حظيت شالة على عهد السلطان أبي الحسن باهتمام بالغ أما ابنه السلطان أبو عنان فقد أتم المشروع، فبنى المدرسة شمال المسجد

والحمام والنزالة وزين أضرحة أجداده بقبب مزخرفة تعتبر نموذجا حيا للفن المعماري المتميز لدولة بني مرين .تراجعت شالة مباشرة بعد قرار المرينيين بإعادة فتح مقبرة القلة بفاس، فأهملت بناياتها، بل وتعرضت في بداية القرن الخامس عشر الميلادي للنهب والتدمير لتحتفظ بقدسيتها العريقة وتعيش بفضل ذكريات تاريخها القديم على هامش مدينة رباط الفتح .

في القرن الرابع عشر الميلادي ١٣٣٩ أحيط الموقع بسور خماسي الأضلاع مدعم بعشرين برجا مربعا والسور الموحدي شيده السلطان يعقوب المنصور الموحدي، حيث يبلغ طوله ٢٢٦٣م، وهو يمتد من الغرب حتى جنوب مدينة الرباط، ويبلغ عرضه ٢.٥م وعلوه ١٠ أمتار وهذا السور مدعم ب ٧٤ برجا، كما تتخلله ٥ أبواب وفي عهد العلويين عرفت قصبة الأوداية عدة تغييرات وإصلاحات ما بين سنة ١٧٥٧-١٧٨٩، وكذلك ما بين سنة ١٧٩٠ و ١٧٩٢ وقد عرف هذا الموقع تاريخا متنوعا ومتميزا، يتجلى خصوصا في المباني التي تتكون منها قصبة الأوداية ورغم أن الرباط مدينة حديثة بلا تاريخ عميق فإن بابَيْ الرواح والأوداية اللذان يقعان في الجانب الغربي من السور، ويتميزان بهندستهما المعمارية التاريخية وزخارفهما المشبّكة وأفاريزهما المنقوشة بعبارات كتبت بالخط الكوفي، يعتبران من الإنجازات المتميزة للفن الموحدي في أوج ازدهاره، وقد تحول البابان حالياً إلى صالات

للمعارض الفنية خاصة الرسم، حيث يعرض برواقه أشهر الرسامين المغاربة والعالميين ويتعيّن أيضا إبراز مكانة أنقاض مسجد حسان الضخمة التي تمتد على مساحة هكتارين ونصف، وقد بقي المسجد دون أن يكتمل إنجازه، أما مئذنته الشهيرة فلا تزال شاهداً حياً على أكبر مشروع عمراني قام به الموحدون بجواره نجد ضريح الملك الراحل محمد الخامس والذي دفن به ابنه الملك الحسن الثاني.

مهاجري الأندلس

كانت الرباط مدينة مضيافة آوت الأندلسيين الذين لجؤوا إليها بعد طردهم من أسبانيا واستقروا فيها على موجات متلاحقة بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وجاءت أولى هذه الموجات عام ١٢٣٩م وكانت تضم مهاجرين من بلنسية وأنحاء أندلسية أخرى وضمن الموجة الأخيرة، وصل آلاف الموريسكيين الذي طردوا بقرار من الملك فيليب الثالث في عام ١٦٠٩م واستقروا في قصبة الأوداية وبنوا المدينة الحالية، ولايزالون يحتفظون بفنونهم وصنائعهم الرفيعة، ولا تزال كنية بعض العائلات اليوم شاهدة على أصلها الأندلسي مثل، مُلين (العائلة الأموية الأصل) وتريدانو وبالامينو وبيرو وفينجيرو وبركاش أصلهم من نبلاء اسبانيا وبالافريج وابن عمرو العائلة الأنصارية الأصل وغيرهم.

الفصل السادس نواكشوط

عاصمة الجمهورية الإسلامية الموريتانية، بلاد شنقيط، تأسست عام ١٩٥٧ وهى دولة تقع في غرب أفريقيا على شاطئ المحيط الأطلسي ومن المناطق المهمة فيها حوض آرگين وگلب الريشات أما المناخ فهو صحراوي حار وجاف ودرجات الحرارة: في الشتاء تتراوح بين ١٢ و٢٨ درجة مئوية وفي الصيف تتراوح بين ٢٧ و٤٢ درجة مئوية في إطار وازويرات بشمال البلاد، أما الأجزاء الجنوبية فهي ذات مناخ مداري حار ممطر صيفاً دافئ جاف شتاء.

ونحن إذ نتحدث عن موريتانيا وعن نواكشوط فالكلام عن كلاهما واحد فنواكشوط هى المدينة الأكبر والأهم فى موريتانيا وتعود أول آثار للسكن البشري بالمنطقة إلى العصر الحجري الوسيط وقد استقرت بها قبائل من السود قادمة من الجنوب ومن الشرق وشكلت أول سكان لموريتانيا، حسب رأي بعض الباحثين، في

حين يرى آخرون أن العناصر البربرية البيضاء كانت هي الأسبق لسكنى المنطقة، وهو ما تؤيده الآثار الأركيولوجية ثم في الألفية الأولى بعد الميلاد حل أمازيج صنهاجة بالمنطقة وسيطروا على الطرق التجارية الصحراوية.

بدأ دخول الإسلام في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ولكن لم يكتمل انتشاره إلا بقيام دولة المرابطين في القرن الحادي عشر حيث نشأت حركة المرابطين بقيادة قبائل لمتونة في موريتانيا وهم فرع من صنهاجة، تفقهوا في الإسلام وقاموا بمحاربة الانحرافات الدينية في القبائل الصنهاجية ثم بدأوا الجهاد ضد إمبراطورية غانا ١٠٧٦ وعرفت مدن مثل أوداجست ازدهاراً دينياً وفكرياً في هذه الفترة وتوسع المرابطون في جزء من المغرب الكبير (الأندلس)الذي شكلوا فيه نجدة للمسلمين ضد حروب الاسترداد المسيحية وانتصروا على الأسبان في معركة الزلاقة ويعتقد أن تدخلهم في الأندلس أدى لتأخير سقوطها لعدة قرون وفي بداية القرن الثالث عشر دخلت قبائل عربية البلاد ثم في القرن السادس عشر استقرت قبائل بني حسان العربية بموريتانيا وقد جاءت من صعيد مصر ضمن الهجرة الهلالية الشهيرة إلى بلدان المغرب العربي لكنها واجهت معارضة شديدة من القبائل الأمازيجية والتي ما لبثت أن دانت للسلطان العربى وقد ساهم في إزالة المعارضة وحدة الدين

حيث سبق الإسلام العرب إلى المنطقة واختلطت المجموعتان مع الزمن وتشكل عرق منسجم من الأمازيج والعرب وتشكلت أهم مجموعة بشرية على مدى تاريخ موريتانيا من الأمازيج والعرب، وهم سكان موريتانيا الحاليون وقد كان المجتمع الموريتاني القديم ينقسم إلى طبقات هي (الزوايا - أزناك - الحراطين - المعلمين- العرب) وكل طبقة كان لها دور تمتاز به عن الأخرى فالعرب تتولى الدفاع عن الدولة والزوايا تتولى العلم والتعليم، والحراطين يقومون بالزراعة والمعلمين يتولون الصناعة التقليدية ويطلق عليهم أحيانا الصناع وظل في موريتانيا سكان أفارقة ينقسمون إلى ثلاث مجموعات هي السوننكي، والفلان، والوولوف كل له لغته وكانت توجد فيهم أيضا طبقات هي (الأحرار، الأرقاء، والصناع) ولكن فى التاريخ الحديث لموريتانيا بدأ دخول الفرنسيين لموريتانيا عام ١٩٠٢ كقوة احتلال وقد واجهوا مقاومة شديدة من القبائل الموريتانية كافة وخاضوا معهم الكثير من المعارك منها رأس الفيل التي قتل فيها أمير تكانت ومنها معركة تجكجة التي قتل فيها سيدي ولد مولاي الزين قائد الحملة الفرنسية كزافيي كبولاني ،ومنها معركة ام التونسي و النييملان فى عام ١٩٣٢انتهى الكفاح المسلح ضد المحتل بعد استشهاد الأمير سيد أحمد ولد أحمد عيدة أمير آدرار في معركة وديان الخروب وحصلت البلد على الحكم الذاتي الداخلي عام ١٩٥٦ وأصبحت نواكشوط عاصمة للبلاد في السنة التالية.

الفصل السابع : الخرطوم

عاصمة جمهورية السودان، تعد من أجمل مدن السودان، وتقع عند ملتقى النيلين بين ضفتي النيلين الأبيض والأزرق، كما يجعل التقاء النيلين منها منطقة سياحية من الدرجة الأولى، من أهم أحياء الخرطوم أم درمان، والخرطوم بحري، وجبل الأولياء، كما تشتمل على عدد من المحليات وتباينت الآراء حول أصل كلمة الخرطوم وأشهر هذه الآراء هو أن أصل الكلمة يعود لوقوع الخرطوم عند ملتقي النيل الأبيض، والنيل الأزرق في منظر يشبه خرطوم الفيل ومن معاني الخرطوم أنها تشبه لسان الأرض الممتد وحوله الماء وتقول المصادر التي ترجع في تاريخها إلى القرن السادس عشر الميلادي بأن المكان الذي تقوم عليه الخرطوم كان عبارة عن أحراش وغابات، وكانت تبعد عن مدينة سوبا عاصمة مملكة علوة، إحدى الممالك المسيحية القديمة في السودان، حوالي ١٥ ميلاً وفي القرن السادس عشر قام سكان جزيرة توتي التي تقع

في مجري نهر النيل المقابل للمكان - وكانوا ينتمون إلى قبيلة (المحس) النوبية - بزراعة المكان ، قبل أن يقيم فيه أحد فقهائهم ويدعى الشيخ أرباب العقائد مدرسة لتعليم القرآن وتتحول إلى منطقة سكنية.

وفى العهد التركي بدأ الأتراك في بناء المدينة على طراز معماري جديد فشيدت المباني من الطوب الآجر وأقيمت مباني الإدارات وشهدت توسعاً فى عهد خورشيد باشا حكمدار (حاكم عام) السودان في سنة ١٨٢٦ م، وأمر الخديوي عباس بإنشاء مدرسة الخرطوم فى عام ١٨٥٠ م بينما قام الحكمدار عبد اللطيف ١٨٤٩ - ١٨٥١ م بتأسيس حي الحكمدارية ليكون مجمعاً لمباني الإدارة التركية ومساكن للقادة وفي عهد إسماعيل أيوب ١٨٧٣ - ١٨٧٧ م وُضِعت لبنات الصناعة في الخرطوم عندما تم تشييد معمل لصناعة الورق وآخر للبارود والخرطوم في موقعها الجميل الذي يقع بين النيلين وتذكر المصادر أن جزءاً من قبيلة المحس وفقهائهم قد استوطنوا جزيرة توتي والحلفاية والخوجلاب منذ القرن السادس عشر والمرحلة الثانية من مراحل نشأة مدينة الخرطوم بدأت عندما اتخذها أحد فقهاء المحس المقيمين بجزيرة توتي وهو الشيخ أرباب العقائد مركزاً لخلوته، وبدأ بها العمار من القرآن والعلم.

أما المرحلة الثالثة فقد جاءت عند غزو الجيش التركي-المصري للسودان ودحر سلطنة سنار فى عام ١٨٢١م، حيث أتخذ الحكم التركى

المصري الخرطوم في بادئ الأمر معسكراً للجنود وذلك عندما بنى عثمان بك جركس نقطة عسكرية مع الاستمرار فى استخدام ود مدني عاصمة للبلاد بدلاً عن سنّار التى لم يطب المقام فيها للأترك بسبب مناخها.

وفى المرحلة الرابعة من مراحل نشأة الخرطوم صارت عاصمة للبلاد عوضاً عن ود مدني التى اتخذها الأتراك عاصمة لهم فى بادي الأمر وكان الأميرالاي عثمان بك قد عين حاكم على السودان ١٨٢٣م-١٨٢٥م وعند وصوله إلى ملتقى النيلين فى طريقه إلى العاصمة ود مدني لم يواصل سيره، بل فضل أن يبني الثكنات والقلاع فى المكان الجديد ولعله من غرائب الصدف أن أصبح عثمان بك عند وفاته فى عام ١٨٢٥م أول دفين من حكام العصر التركي في الخرطوم.

كانت مدينة الخرطوم القديمة تبعد نحو ميل جنوب النيل، وكانت الدواوين ومساكن الموظفين وثكنات الجيش فى المكان الذى كانت تحتله محطة السكة الحديدية، وكان سكن الأهالى إلى الشمال منها وكان يسمى بحي سلامة الباشا وفى عهد خورشيد ١٨٢٦ ـ ١٨٣٠ دخلت المدينة طوراً جديداً وذلك باتساعها شمالاً، وشهدت تلك الفترة إنشاء حي المسجد وقد شهد عهد خورشيد استخدام الطوب الأحمر فى تشييد المباني بعد أن كانت المواد المستخدمة فى باديء الأمر هى الطوب الأخضر والقش، وأنشأ الأتراك كمائن للطوب المحروق فى برى

والجريف وقد شهد عهد الخديوي عباس ١٨٤٩ ـ ١٨٥٤ تراجعاً وتدهوراً فى كل من مصر والسودان بسبب السياسة المالية المتقشفة، ورغم هذا فقد شيدت في عهده بعض المباني الحكومية فى الخرطوم وهو صاحب فكرة إدخال التعليم المدني فى السودان، إذ أصدر أوامر بإنشاء مدرسة الخرطوم فى عام ١٨٥٠م وفي عهد الحاكم التركى المصري عبد اللطيف ١٨٤٩ـ ١٨٥١م اتسعت المدينة نحو الشمال الشرقى ونشأ حي جديد هو حي الحكمدارية وفى عام ١٨٦٦م فى عهد الحكمدار جعفر صادق حلت كارثة كبري بالمدينة من جراء الأمطار والسيول وانهيار عدد كبير من المنازل مما دفع والى مصر إلى التفكير فى تحويل العاصمة من الخرطوم إلى توتى وقد فضل الحكمدار جعفر مظهر المضي فى عمران الخرطوم وشهد عهد إسماعيل أيوب ١٨٧٣ـ ١٨٧٧م ازدياداً وتوسعاً فى المبانى الحكومية وشيد كذلك معملاً للورق وآخر للبارود وقد بلغ أقصى امتداد الخرطوم فى أواخر العهد التركى المصري المنطقة الواقعة بين حديقة الحيوان بالخرطوم سابقاً ومباني وزارة الصحة .

يذكر البروفسير محمد إبراهيم أبو سليم فى كتابه القيم تاريخ الخرطوم أن المدينة كانت مقسمة إلي أحياء، من أهمها حي الحكمدارية، وحي المسجد، والأحياء الشعبية التي كان يسكنها عامة الناس وقد احتلت اطراف المدينة ومن الأحياء الشعبية الشهيرة حى سلامة باشا، وكان

يقطنه الوافدون من جبال النوبة ومن أفقر الأحياء الشعبية بالمدينة حي هبوب ضربانى، ومن الأحياء الشعبية أيضاً حى الكارة وحى الطوبجية وقد احتل حى الترس -المنطقة الواقعة غربي شارع الحرية الحالى-، وقد أخذ اسمه من الجسر الذى أقيم جنوبه لحماية المدينة من فيضان النيل الأبيض.

وفى أقصى الشرق كان حي بري المحس وقد ظل هذا الحي فى مكانه طوال فترة الحكم التركي المصري واستمر كذلك طوال فترة المهدية) إلى أن أنتقل إلى موضعه الحالى بالبراري فى سنة ١٩٠٠وأقيمت مكانه ثكنات الجيش البريطاني فى الموضع الذى تشغله داخليات جامعة الخرطوم وكان من المعالم البارزة فى الخرطوم فى أواخر العهد التركي المصري بوابتي المسلمية والكلاكلة -اللتان شيدهما جوردون باشا الإنجليزي فى استحكاماته التى أقامها للدفاع عن المدينة عندما حاصرتها قوات الإمام المهدي وتقع بوابة المسلمية فى الموقع الذي يحتله كوبري المسلمية، أما بوابة الكلاكلة فكان موقعها كوبري الحرية ، والذى شيده الفريق إبراهيم عبود فى مطلع الستينات

عندما انتصر المهدي على هكس باشا الإنجليزي فى نوفمبر ١٨٨٣م تأكدت سيطرته على الأقاليم الغربية بصفة نهائية، وفتح بذلك الطريق أمامه ليعود إلى النيل، فأرسل خطاباً إلى أحد أنصاره الشيخ محمد الطيب البصير ليقوم وجماعته بمحاصرة الخرطوم وأحكم الحصار بوصول قوات

الأمير أبو قرجة ثم قوات الأميرعبد الله ود النجومي، وأولاد العبيد ود بدر بقيادة المهدى الذى عسكر بأبى سعد بأم درمان سنة ١٨٨٤م وفى ٢٦يناير ١٨٨٥م دخل المهدى الخرطوم ويذكر أن الثورة المهدية من بين ثورات المنطقة العربية والأفريقية والمستعمرات، وكانت الثورة الوحيدة التي طردت مستعمر بلدها بالقوة، وأسست سيادة وطنية مستقلة مدة ١١ عاما وأشار المهدى إلى أنه لا يعتزم اتخاذ عاصمة الترك مقراً له، فعانت الخرطوم ضموراً في هذا العهد بسبب اتخاذ المهدى أم درمان عاصمة له، فأخذت في النمو والإزدهار وعقب تحرير الخرطوم نزل كبار الأنصار فى قصور الدولة وقصور الأعيان في حي المسجد، أما أهالي الخرطوم فقد جمعوا فى الطرف الجنوبي من المدينة، وقد خصص قصر الجاركوك للمهدي لقربه من المسجد واتساعه أما الخليفة عبد الله التعايشي فقد اتخذ السراي مسكناً له ونزل الخليفة شريف فى مبنى الكنيسة الكاثوليكية بينما احتل أبو قرجة ديوان المديرية وقد عين المهدى قريبه أحمد محمد حاج شرفي ليباشر إدارة الحدائق، كما عين خاله محمد طه محمد ليباشر إدارة الترسانة وفي مايو من عام ١٨٨٥م أمر الخليفة عبد الله كل القاطنين فى الخرطوم بإخلاء المدينة والانتقال إلى العاصمة الوطنية أم درمان، ويبدو أن الخليفة عبد الله كان حريصاً على الأقل فى أول الأمر على الإبقاء على مدينة الخرطوم وعدم تخريبها وقد وقف البروفيسير محمد إبراهيم أبو سليم على خطاب منه إلى)أحمد

سليمان صادر فى أغسطس عام ١٨٨٥م يؤكد ما ذهبنا إليه وأشار الخليفة فى خطابه إلى أنه قد نبه مراراً بعدم هدم أى منزل من منازل الخرطوم، وذكر أنه عند زيارته للخرطوم وجدها خراباً فقد أخذ الأنصار طوب وأحجار وأخشاب مباني الخرطوم وقصورها واستخدموها فى تشييد مدينة ام درمان العاصمة الجديدة وبعد وفاة المهدي استمر الخليفة عبد الله فى توسيع عاصمته بتشييد منازل من الطين والطوب الأحمر المحروق والحجر بدلاً عن القش والجلود وقد بنى الخليفة بيت المال وسجن الساير سنة ١٨٨٥م ثم شيد الدور الأرضي من منزله -وهو المتحف الحالي-، ثم بيت الأمانة وهى مخزن للسلاح، وقبة المهدي، والجامع ثم شيد السور الذى أحاط بالمدينة في عامي ١٨٨٨ و١٨٨٩م

الفصل الثامن :جيبوتي

عاصمة دولة جيبوتى وهى دولة في منطقة القرن الأفريقي تقع على الشاطئ الغربي لمضيق باب المندب ،وكانت تسمى بلاد الصومال الفرنسي.

يعتبر قدماء المصريين أول من أقام علاقات مع هذا الجزء من العالم، إذ أن أول بعثة مصرية بحرية إلى هذه المنطقة كانت في الألف الثالث ق.م خلال حكم فرعون مصر بيبي الأول إلا أن علاقات القرن الأفريقي مع جنوب غربي شبه الجزيرة العربية أكثر ثباتاً من علاقاته بالمصريين فقد نزحت قبائل سامية من جنوبي الجزيرة العربية في موجات متعاقبة عبر البحر الأحمر، فانصهرت ونتج عن ذلك حضارة أكسوم منهم عرب الجزيرة العربية وخاصة عرب اليمن وحضرموت وعمان، استطاعوا أن يعبروا مضيق باب المندب، وأن يكتشفوا البلاد الواقعة إلى الجنوب من هذا المضيق، من بلاد الدناقل شمالاً إلى موزمبيق وجزيرة مدغشقر جنوباً وقد كان التبادل التجاري وسيلة الاتصال بين عرب شبه الجزيرة العربية

وبين شرقي إفريقيا، وساعدهم على ذلك الرياح الموسمية، وموقع بلاد العرب الجغرافي على طريق التجارة بين الشرق والغرب، وأقام العرب محطات لتموين مراكبهم وتخزين بضائعهم التي كانت تأتي من داخل القارة، مما ساعد على قيام مراكز عمرانية.

كانت دولة مسيحية قبطية قد تكونت على المرتفعات عرفت بالامبراطورية الحبشية ومع مجيء الإسلام، وقد كانت هذه الأراضي لقربها من الشرق إحدى أول المحطات لنشر الدين الجديد بين القرن الثامن والعاشر حيث شكلوا سلطنات وممالك إسلامية منها إمارة عدل التي يفخر أهالي جيبوتي بها لكونها إمارة أجدادهم وبقيت هذه المناطق معزولة لمدة قرون إلى أن بدأ التوسع الأوروبي الاستعماري يتجه نحوها وكان العثمانيون والمصريون يسيطرون على شواطئ البحر الأحمر، وبعد فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩ أصبحت هذه السواحل متنافساً عليها من قبل الأوروبيين وبعد ظهور بريطانيا كقوة بحرية كبيرة بدأت بتدعيم المواقع والنوافذ التي تتحكم بالبحر الأحمر وطريق الهند فأسرعت إلى شراء جزيرة في مدخل تاجورة جيبوتي وبعد احتلال بريطانيا لمصر بعامين ١٨٨٤ احتلت ميناءي زيلع وبربرة وأتبعتهما بمحمية الصومال ١٨٢٧م وفي العام الذي احتلت فيه بريطانيا عدن أرسلت فرنسا إحدى بوارجها بهدف السعي لشراء قطعة أرض على

ساحل أفريقيا الشرقي وقد تمكنت سنة ١٨٦٢ من إقناع زعماء العفر (الدناقل) في جيبوتي ببيع ميناء أوبوك على الساحل الشمالي لخليج تاجورة.

الاستعمار الفرنسي:

بعد احتلال بريطانيا لمصر في عام ١٨٨٢ عقب الثورة العرابية، اقتسمت أملاكها في أفريقيا كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبليجكا وأثيوبيا فتوسع الفرنسيون بالاستيلاء على تاجورة وبقية الأراضي التي تشكل جمهورية جيبوتي الآن وفي سنة ١٨٩٢ اتخذ الحاكم الفرنسي للمستعمرة قراراً بالبدء في تشييد مدينة جيبوتي التي أصبحت مقراً لإدارة الاحتلال الفرنسي وقد أصبحت هذه المنطقة تعرف باسم الصومال الفرنسي منذ سنة ١٨٩٦ م وبقي هذا الاسم متداولاً حتى ٣ يوليو ١٩٦٧ حين أطلقت الإدارة الفرنسية عليه اسم الاقليم الفرنسي لعفار وعيسى.

بدأ الكفاح الشعبي يتخذ شكلاً منظماً في سنة ١٩٤٥م، حينما انتخب السيد محمود حربي رئيساً لفرع حزب وحدة الشباب الصومالي في جيبوتي وفي عام ١٩٤٧م، أنشأ أول نقابة للعمال وانتخب رئيساً لها، وكانت هذه النقابة تضم جميع الأيدي العاملة إلى جانب العناصر

المستنيرة، وقد أصبحت هذه النقابة قوة سياسية لها اعتبارها، وأخذت تنمو وتتسع حتى تألف منها حزب الاتحاد الجمهوري الذي نادى باتحاد جميع أجزاء الصومال في جمهورية واحدة ولقد أدى نمو الوعي القومي في البلاد إلى إجبار الفرنسيين على السماح بقيام مجلس تشريعي عام ١٩٥٠م، نصف أعضائه من الصوماليين والنصف الآخر من المحتلين الأجانب وقد أسفرت نتيجة الانتخابات عن فوز جميع مرشحي حزب الاتحاد الجمهوري وبالرغم من أن هدف الفرنسيين كان تهدئة الخواطر فقط، إلا أن هذا المجلس تمكن من أن يكون قاعدة لانطلاق القوى التحررية في البلاد وفي سنة ١٩٥٦م أجري استفتاء شعبي لاختيار ممثل الصومال في الجمعية الفرنسية، ففاز السيد محمود حربي وفي نفس السنة جرت مقاومة صومالية وتدمير لبعض المنشآت الفرنسية التي كانت فرنسا تخزن فيها المواد التموينية والأسلحة وترسلها إلى إسرائيل واحتجاجاً على عدوان إسرائيل على مصر عام ١٩٥٦م وإزاء استمرار الكفاح والمطالبة بالاستقلال اضطر الفرنسيون إلى إصدار قانون يمنح جميع المناطق الفرنسية حق تأليف حكومات محلية وعلى هذا الأساس حُل المجلس القديم، وأُجريت انتخابات جديدة دخل معركتها حزبا الاتحاد الجمهوري والحزب الوطني وقد فاز فيها حزب الاتحاد الجمهوري بجميع المقاعد في المجلس التشريعي، وألف محمود حربي أول وزارة صومالية وكان جميع أعضائها من الصوماليين وعندما انتهت

مدة عضوية نائب المستعمرة في مجلس الشيوخ الفرنسي، تقدم للانتخابات أحمد فتحي قوضي أحد أعضاء حزب الاتحاد الجمهوري، ففاز بعضوية مجلس الشيوخ الفرنسي وأصبح حزب الاتحاد الجمهوري هو الذي يحكم جيبوتي بعد أن فاز بأغلبية في المجلس التشريعي، والوزارة المحلية أيضًا وأصبح رئيس الحزب رئيسًا للوزراء وممثلاً للحزب في الجمعية الوطنية، وأحد أعضائه يمثل الصومال في مجلس الشيوخ الفرنسي.

وفي سنة ١٩٥٨، تولى الرئيس الفرنسي شارل ديجول السلطة في فرنسا، ووضع دستوره الجديد الذي أعلن فيه أن من حق أية مستعمرة فرنسية ترفض هذا الدستور أن تحصل على الاستقلال وعندها قاد محمود حربي حملة دعاية واسعة النطاق ضد دستور ديجول، فانزعجت السلطات الفرنسية المحلية في الصومال وفي فرنسا ذاتها وحاولت السلطات الفرنسية استمالته بشتى الوسائل لوقف حملته ضد دستور ديجول ولكنه رفض، لذلك عملت فرنسا على القضاء على حزب الاتحاد الجمهوري قبل الاستفتاء على دستور ديجول بوسائل عدة منها منع الاجتماعات والمظاهرات الوطنية، كما قبضت السلطات الفرنسية على عدد كبير من المواطنين وزجّت بهم في السجون ولما طُرح الاستفتاء، خُيّرَ سكان الصومال الفرنسي بين استمرار تبعيتهم لفرنسا وبين

الاستقلال وقد أثار هذا الاستفتاء خلافاً كبيراً بين الصوماليين، ومع ذلك فقد جاءت نتيجة الاستفتاء ضد دستور ديجول بنسبة ٧٥% بينما ادعت فرنسا أن نتيجة الاستفتاء لصالح المؤيدين لتبعية فرنسا فجرت مظاهرات عامة مطالبة باستقلال الصومال أثناء زيارة الرئيس الفرنسي الأسبق شارل ديجول إلى الصومال في أغسطس ١٩٦٦م، وفي ٢١ سبتمبر من نفس السنة أعلن لويس ساجت الحاكم العام المعين في الإقليم بعد هذه المظاهرات أن قرار الحكومة الفرنسية هو إجراء استفتاء لتحديد بقاء جيبوتي ضمن الجمهورية الفرنسية أو أن تمنح استقلالها، وفي مارس ١٩٦٧ اختار ٦٠% استمرار الإقليم مرتبطا بفرنسا قررت فرنسا عام ١٩٦٧م تغيير اسم الإقليم ليصبح إقليم عفار وعيسى الفرنسي، كما قررت أيضا الاعتراف بالهيكل الحكومي للإقليم، وذلك بجعل الممثل الفرنسي والذي كان سابقا الحاكم العام للإقليم مبعوثا ساميا وزيادة على ذلك تم تعديل المجلس التنفيذي ليصبح كمجلس للحكومة يضم تسعة أعضاء وفي سنة ١٩٧٥ بدأت الحكومة الفرنسية، تتلقى عدة مطالبات باستقلال الإقليم ثم تم إجراء التصويت على الاستقلال في مايو ١٩٧٧م، وتم تأسيس جيبوتي في ٢٧ يونيو ١٩٧٧م.

يمثل المسلمون ٩٤% من سكان جيبوتي البالغ عددهم ٨٦٤,٠٠٠ نسمة أما النسبة المتبقية فهي من المسيحيين وقد دخل الإسلام جيبوتي

في العهود المبكرة من الدعوة الإسلامية عن طريق التجار العرب ولا يزال الكثير من سكانها من أصل عربي خالص كالعمانيين واليمنيين والباقون ينحدرون من أصل عربي أفريقي ومن أشهر قبائل العرب المنتشرة هناك قبائل القومية العفرية وقبيلة عيسى {الصومالية}كما يوجد في كل مدينة بجيبوتي جامع حيث يذهب الناس للعبادة كما تحولت مقابر رجال الدين القدامى إلى مناطق مقدسة من أشهر هذه الأماكن مقام الشيخ أبو اليزيد الموجود بجبال فودى.

الفصل التاسع :مقديشيو

هـي عاصـمة الصـومال وتقـع علـى السـاحل الغربـي للمحـيط الهنـدي كانـت مقديشـو علـى مـر العصـور مركـزاً تجارياً مهماً، وملتقى لطرق الملاحة البحرية كموقع وسط بين شبه القارة الهندية وأوروبـا من جهـة (قبل شق قنـاة السويس)، والجزيرة العربية والساحل الأفريقي من جهـة أخـرى، ويقـع بهـا مطـار دولـي يسـمى مطـار آدم عـدي الدولي جنوب المدينة.

وصف الرحالة العربي ابن بطوطة الذي زار مقديشو عـام ١٣٣١ م نظـم الحكـم والمجتمـع والعـادات والتقاليـد لسكان المدينة، واحتفاءهم بالفقهاء والزوار وأهل العلم؛ حيـث قـال فـي رحلتـه المعروفـة تحفـة النظـار وصـلنا إلـى مقديشـو وهـي مدينـة متناهيـة فـي الكبـر، ويواصـل حديثـه عن حفاوة الاستقبال التي لقيها: لما صعد الشبان المركب الذي كنت فيه جاء إلي بعضهم، فقال له أصحابي هذا ليس بتـاجر وإنمـا هـو فقيـه؛ فصـاح بأصـحابه، وقـال لهـم نزيـل القاضي وقالوا لي: إن العادة هي أن الفقيه أو الشريف أو

الرجل الصالح لا ينزل حتى يرى السلطان، فذهبت معه إليه كما طلبوا، ثم يسرد ابن بطوطة ما حدث في حديث مطول عن كرم الضيافة الذي كانوا فيه عند أهالي مقديشو لمدة ثلاثة أيام.

و يقول ابن بطوطة: لما كان اليوم الرابع جاءني القضاة والطلبة وأحد وزراء الشيخ (السلطان) وأتوني بكسوة، وكسوتهم فوطة خِزّ يشدها الإنسان في وسطه وذراعه من المقطع المصري مغلقة وفرجية مبطنة وعمامة مصرية، كما أتوا لأصحابي بكساء، ثم أتينا الجامع، فسلمت على السلطان، ثم قال باللسان العربي: قدمت خير مقدم، وشرفت بلادنا، وآنستنا.

الدول والسلطنات التي حكمت مقديشو:

تتابع على حكم مقديشيو عدد كبير من الدول والسلطنات، أسس بعضها المهاجرون العرب والفارسيون، والبعض الآخر كان تابعا للخلافة الإسلامية، كما كان بعض هذه الدول تابعا لسلطنات قبلية صومالية إضافة إلى الاحتلال البرتغالي والإيطالي وأهم هذه الدول والسلطنات:

- دولة حمير -الدولة الأموية

- دولة حلوان: في أوائل القرن السادس الهجري، وحكمها حاكم من حكام حلوان من طرف محمد شاه المنسوب إلى ولاية حلوان في العراق.
- دولة زوزان: في أوائل النصف الثاني من القرن السادس الهجري بعد دولة حلوان.
- الدولة الشيرازية: في القرن السابع الهجري، وكانوا مشتهرين ببناء المسجد الضخمة في المدينة التي تحمل الطابع الفارسي في العمارة.
- دولة فخر الدين: أسسها السلطان أبو بكر فخر الدين في القرن الثالث عشر الميلادي
- البرتغاليون: وقد حكموا مقديشو لفترة قصيرة أخضعوها لحكمهم عندما ظهروا في مياه المحيط الهندي كغزاة جدد، ومر الرحالة البرتغالي فاسكو دي جاما بمقديشو عام ١٤٩٩ م عائدا من الهند.
- دولة المظفر: في أوائل القرن السادس عشر الميلادي- دولة ياقوب: وهي سلطنة صومالية من قبيلة أبجال.
- الدولة العمانية: في عهد السلطان برغش العماني سلطان زنجبار الذي بسط نفوذه على ساحل إفريقيا الشرقية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي وقد أصبحت مقديشو فعلا عام ١٨٧١م تابعة سياسيا للسلطان العماني في زنجبار.
- إيطاليا: التي احتلت المدينة عام ١٨٩٢ بعد عقد أبرمته الحكومة الإيطالية مع السلطان العماني، تنازل بموجبه عن سواحل الصومال

لصالح إيطاليا مقابل ١٤٠ ألف روبية سنويا وفي بداية الخمسينيات أصبحت مقديشيو تتمتع بإدارة محلية صومالية بعد وضع الصومال تحت الوصاية الدولية في الفترة ما بين ١٩٥٠-١٩٦٠؛ حيث أصبحت عاصمة الصومال منذ الاستقلال في يونيو عام ١٩٦٠.

الفصل العاشر : موروني

عاصمة جمهورية جزر القمر الاتحادية الإسلامية وهى أرخبيل يقع بين قارة أفريقيا ومدغشقر تتكون هذه الجمهورية من ٤ جزر أساسية (القمر، انجوان، مايوت وموهيلي)، وجزر أخرى.

سكنها قديماً شعوب من العنصر الماليزي، تبعهم الأدوميون الساميون، وذلك على عهد نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وقدم إليها الزنوج من زنجبار في القرن الخامس الهجري وجاءها العرب في القرن السابع الميلادي حاملين إليها الدين الإسلامي وفي عام ١٨٣١ م سيطر الملجاش على جزيرتي موهيلي والمايوت وسيطرت فرنسا على المايوت سنة ١٨٤٣ وحتى سنة ١٩٥٨ حيث قرر سكان جزر القمر ضم بلادهم لأراضي ما وراء البحار الفرنسية وفي سنة ١٩٧٥ اتفقت الجزر على الاستقلال وانتخاب أحمد عبد الله كأول رئيس للجزر، غير أن سكان جزيرة مايوت فضلوا البقاء ضمن إطار فرنسا وفي عام

١٩٨٩ اغتيل أحمد عبد الله، وسيطر المرتزقة على البلاد حتى تدخُّل فرنسا عُيّن سيد محمد جوهر رئيساً للدولة وانضمت جمهورية جزر القمر لجامعة الدول العربية عام ١٩٩٣ .